الثلاثاء 15 سبتمبر/ أيلول 2020 م 27 محرّم 1442 هـ ◻ العدد 2206 السنة السابعة
Tuesday 15 September 2020

العربي الجديد

هوامش

ليست روسيا من البلدان التي اعتادت أن تتعاطى مع الوشم من دون أحكام مسبقة. فبعدما كان يعكس ارتباط صاحبه بالسجن والجريمة، بات البعض اليوم قادرين على التعامل معه بوصفه فناً

ينظران إلى بعض التصاميم (العربي الجديد)

الوشم في روسيا
الصورة النمطية إلى زوال

موسكو ـ رامي القليوبي

بعدما أنهى تخصّصه في التصميم الغرافيكي في المدرسة العليا للاقتصاد في موسكو، قرّر ليف أندريخوف (22 عاماً) فتح ستوديو لرسم الوشم، محوّلاً بذلك هوايته وهوسه إلى مشروع مهني يراه واعداً، في ظل انفتاح الشباب الروس على هذه الموضة الجديدة، وتراجع الصور النمطية السلبية حيالها.

يتحدّث أندريخوف عن مسيرته في رسم الوشم منذ بدايتها. يقول لـ «العربي الجديد»: «منذ صغري، كنت أهتم بالرسم والوشم، ودخلت استوديو للوشم للمرة الأولى عندما كنت في الـ 16 من عمري، ثم انخرطت في هذا الفن منذ ست سنوات». وعن زبائنه، يقول: «ينتمي غالبيتهم إلى تلك الفئات التي يبدو من الوهلة الأولى أنها لا ترسم الوشم، مثل المحامين والعاملين في القنوات التلفزيونية الحكومية وشركات الاستشارات. وهؤلاء يسعون إلى رسم وشم يبقى معهم إلى الأبد ليذكرهم بمبادئهم في الحياة. الأعمار تبدأ من 27 و28 عاماً وما فوق، ونادراً ما يأتي إلينا أشخاص في الـ 18 أو الـ 19 من العمر».

يبلغ متوسط سعر الوشم 30 ألف روبل (نحو 400 دولار أميركي)، وحول الرسومات التي غالباً ما يختارها زبائنه يقول: «في معظم الأحيان، يختار الناس ما يعبّر عن عالمهم الداخلي. يحدثونني عن حياتهم واهتماماتهم، فنصنع تصميماً ونرسمه على جهاز الحاسوب أولاً ثم على أجسامهم». ومع قراره التخصص في رسم الوشم، حوّل أندريخوف جسده إلى لوحة فنية. ويعلّق على ذلك قائلاً: «أهتم كثيراً بتاريخ وثقافة الوشم، وقد أعددت كتاباً عن تاريخ الوشم التقليدي. والوشم الموجود على جسمي رُسم وفقاً لتصاميم كلاسيكية تعود إلى نحو قرن ما قبل الحقبة السوفييتية، حتى أصبحت أحمل على جسدي طبقة كاملة من تاريخ الوشم».

في الحقبة السوفييتية، تشكّلت في المجتمع الروسي صورة نمطية سلبية حيال الوشم، خصوصاً أنه كان منتشراً على نطاق واسع في المعتقلات للدلالة على مكانة السجناء الطبقية السفلى، فتحول إلى رمز من رموز عالم السجن والجريمة. وفي الوقت الذي تشهد فيه موسكو وغيرها من المدن الكبرى انفتاحاً على الوشم، أظهر استطلاع للرأي أعدّه «مركز عموم روسيا لدراسة الرأي العام» منتصف العام الماضي أن 27 في المائة من المستطلعة آراؤهم، وغالبيتهم من قاطني المناطق الريفية، يعتبرون الوشم دليلاً على أن حامله قد أنهى عقوبة سجن. وبحسب الاستطلاع ذاته، فإن 43 في المائة من الروس يعتبرون أن وجود الوشم على جلد الإنسان يدلّ على سعيه لإبراز نفسه بين الآخرين، فيما رأى 41 في المائة فيه سعياً لمواكبة الموضة.

في هذا السياق، يقلّل أندريخوف من أهمية مزاعم ارتباط الوشم بعالم السجن والجريمة، قائلاً: «في ما يتعلق بالوشم في السجون السوفييتية، فثمة حقيقة مفادها بأن ثقافة الوشم في المعتقلات اقتصرت على فترة لا تزيد عن 20 عاماً بين ستينيات وثمانينيات القرن الماضي. إلا أن هذه الصورة النمطية ترسّخت نتيجة الأفلام والمسلسلات. وبشكل عام، ما زال الإقبال على الوشم في روسيا أقل منه في أوروبا والولايات المتحدة».

مع ذلك، ينفي أندريخوف تعرّض الناس الذين اختاروا رسم وشم على أجسادهم لأي تضييق في عملهم حتى في الخدمة العامة، مضيفاً: «لا يتم تسريح أحد من العمل بسبب الوشم، ويأتي إلينا زبائن يعملون في الوزارات. إذا كنتم ترسمون الوشم على وجوهكم أو أيديكم، فهذا نوع من التحدي للمجتمع، لكن يمكن رسمه على أجزاء الجسم المغطاة بالملابس. كما أن هناك إمكانية لإزالة الوشم بالليزر إن قرر حامله ذلك في يوم من الأيام».

لا يعمل أندريخوف في استوديو الوشم الذي أسسه بمفرده، بل مع بضعة فنانين ومصممين آخرين. يليزافيتا تشيبتشوغوفا (30 عاماً) هي إحدى هؤلاء. وتروي تجربتها مع الوشم قائلة لـ «العربي الجديد»: «والدي فنان، وكنت أرسم منذ صغري. ذات مرة، حضرت إلى استوديو للوشم لرسم أول رسمة، فشعرت بمتعة هذه الأجواء وأنني سأصبح رسامة وشم أيضاً، وقد مضى أكثر من ست سنوات على عملي في هذا المجال».

وتعلق تشيبتشوغوفا على طبيعة زبائنها قائلة: «بالدرجة الأولى، هم أشخاص مكتفون ذاتياً ويفعلون ما يريدونه، وهذا خيارهم الواعي لإبراز أنفسهم بين الآخرين. أرى فيهم بالدرجة الأولى أصدقائي المستقبليين لأننا نتواصل معهم عن قرب، ويستمر بعضهم في التعامل معنا مرات محدودة وآخرون لسنوات. هذه المهنة تتطلّب تواصلاً دائماً مع البشر».

باختصار

في معظم الأحيان، يختار الناس ما يعبّر عن عالمهم الداخلي. يحدثونني عن حياتهم واهتماماتهم، فنصنع تصميماً ونرسمه على جهاز الحاسوب أولاً ثم على أجسامهم

■■■

في الحقبة السوفييتية، تشكّلت في المجتمع الروسي صورة نمطية سلبية حيال الوشم، خصوصاً أنه كان منتشراً على نطاق واسع في المعتقلات للدلالة على مكانة السجناء الطبقية السفلى

وأخيراً

وداعاً «عشرة عبيد صغار»

نجوى بركات

لو كانت الكاتبة الشهيرة أغاتا كريستي (1890 - 1976) على قيد الحياة، فهل كانت ستقبل بأن يُصار إلى تغيير عنوان روايتها «عشرة عبيد صغار» التي كتبتها عام 1938 ونشرتها عام 1939 مثلما جرى أخيراً؟ الأرجح أن الجواب سيكون نعم، لأنها، عندما وجدت أن العنوان إياه، الذي لم تختره بنفسها يسيء إلى الجمهور الأميركي، لم تمانع تغييرَه ليصبح: «وفجأة، لم يتبقَّ منهم أحد» في نسخته الأميركية (1940)، وهو العنوان الذي اعتمدته الترجمتان الإيطالية والألمانية.

أخيراً، بسبب موجة «حياة السود تهمّ»، المحقّة حتما، طلب حفيدُ الكاتبة تغيير عنوان الترجمة الفرنسية التي أبقت على العنوان في صيغته البريطانية الأولى، وعمرها ثمانون عاماً، والاستعاضة عنه بالعنوان الجديد: «كانوا عشرة»، مع حذف كلمة عبد وعبيد التي ترد نحو أربع وسبعين مرة في الرواية، واستبدالها بكلمتي جندي وجنود. «علينا ألّا نستخدم بعد اليوم كلمات قد تكون جارحة»، قال جيمس بريتشارد، مدير الشركة مالكة الحقوق الأدبيّة والإعلامية لأعمال أغاثا كريستي، فصارت «جزيرة العبد» على سبيل المثال، وهي المكان المعزول الذي تدور فيه أحداث الرواية، «جزيرة الجندي»، وكذلك الأغنية/ اللازمة التي تتردّد طوال الرواية لتنبئ بمصير الضّيوف العشرة الذين تتم دعوتهم من قاتلٍ مجهول، وبكيفية موتهم، وهي الترنيمة التي يعود تاريخها إلى عام 1868، والمستوحاة أصلاً من صيغة أميركية تدعى «عشرة هنود صغار»...

غنيّ عن القول أنّ كلمة «عبد» في استخداماتها كافة تأتي بمعنى مسيء، إذ تتضمّن تجريحاً وتحقيراً للشخص الموجّهة إليه، وتلك هي حالها لم تتبدّل، منذ استعمالاتها الأولى في القرن السادس عشر. بيد أن الكلمة لم تكن متصلة باللون، بقدر ما كانت مرتبطةً بنظام العبودية. «ففي سوق النخاسة في قبرص، كنتَ تجد عبيداً من بلدان الشرق الأدنى، من أوروبا الشرقية ومن أفريقيا. لكن، ابتداءً من القرن السابع عشر، بدأت العبودية تصبح متصلةً بالبشرة السوداء بشكل حصري»، وهو ما ورد في كتاب «الشرط الأسود»، للمؤرّخ باب نديايْ.

من جانب آخر، سنرى، في نهاية الثلاثينيات، كتّاباً فرنكوفونيين سود البشرة يبتكرون مفردة «الزنوجة» (négritude) التي عرّفها الشاعرُ المارتينيكي ايمي سيزير، بقوله: «إنها الاعتراف البسيط بكونك أسود، وبالتالي تقبّل مصيرنا الأسود، تاريخنا وثقافتنا». بتعبير آخر، الزنوجة تيار أدبي وسياسي نهض بالهوية السوداء، معيداً امتلاكها، ومبدّلاً حالها من شتيمة إلى تمايز، ومن نقص إلى زيادة، ذلك أن «الكلمات ترتبط بظرف استخدامها وبمن يستخدمها».

ومع هذا، يبقى السؤال: هل ينبغي للأدب أن يمارس رقابة ذاتية، شاطباً من قاموسه الكلمات العنصرية أو المعبّرة عن كل تمييز يمارس ضد عرق، أو جنس، أو لون؟ نحن هنا حيال رواية قديمة، اشتهرت عالمياً وبيعت منها نسخٌ بالملايين، بحيث باتت موجودة في معظم المكتبات. ألم يكن من الأفضل، والحال هذه، أن تبقى النسخة الأصلية على حالها، عنواناً ومفردات، مع إضافة مقدّمة أو ملاحظة تضع الرواية في إطارها التاريخي، شارحة ظروف استخدام كلمة عبد وعبيد؟ لطالما كان الأدبُ لصيق الواقع، يعمل على استشرافه، ونقله، ومحاكاته، ومحاسبته، فكيف لنا أن نقوم بتوصيف فترة تاريخية معيّنة، أو واقع معيّن، إن لم نستخدم أدواتهما؟ لا بل كيف نتعاطى مع شخصياتٍ سلبية، عنصرية، قاتلة، إن لم نحمّلها اللّغة التي لها، والأفكار التي تماثلها، والسلوك العنصري والعدائي الذي يشبهها؟ استخدام الكلمات التي تجرّ وراءها تاريخاً ثقيلاً من الإذلال، والإساءة، والعنصرية، والقتل، والإبادة، وسبل استغلال الإنسان أخاه الإنسان، لن تزول فكراً وتصرّفات ومشاعر، من خلال محوها، بل من خلال فضحها وتفكيكها وسبر دلالاتها، وذلك بهدف إبقاء عواقبها القاتمة حيّة في ضمائر الناس، فتخليص الأدب من تلك الكلمات التي تؤذي حساسيات بعضهم وقضاياهم المحقّة لا يعني احترام تلك القضايا والانحياز إليها، بقدر ما يؤدّي إلى تعقيم الأدب، أو حتى إلى إخصائه، لكي يصبح في نظرنا «بوليتيكلي كورّيكت».

> لطالما كان الأدبُ لصيق الواقع، يعمل على استشرافه، ونقله، ومحاكاته، ومحاسبته

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**